أسماء الله الحسنى

الخالق الخلاق -جل جلاله-

الرابع والأربعون

قال ابن القيم -رحمه الله-: القلب الميت الذي لا حياة به، هو قلب مَن لا يعرف ربه، ولا يعبده بأمره وما يحبه ويرضاه، بل هو واقف مع شهواته ولذاته؛ ولو كان فيها سخط ربه وغضبه.

ويقول الشيخ السعدي -رحمه الله-: حقيقة الإيمان، أن يعرف الرب الذي يؤمن به، ويبذل جهده في معرفة أسمائه وصفاته، حتى يبلغ درجة اليقين، وبحسب معرفته بربه يكون إيمانه، فكلما ازداد معرفة بربه ازداد إيمانه وكلما نقص، نقص. وأقرب طريق يوصله إلى ذلك، تدبر صفاته وأسمائه من القرآن.

يتفاوت الإيمان في القلوب، وما أهنأ العيش مع إيمان عالٍ يعلق روح الجسد الترابي بربها وخالقها، وما أحوجنا إلى ذكر يرقق القلوب ويزيد الإيمان؛ فيدحر سلطان الشيطان، وحديثنا اليوم عن خالقنا سبحانه وبحمده... ومع اسم الله الخالق الخلاق، وقد ذكر أهل العلم قاعدة في أسماء الله فقالوا: " كل اسم لله عز وجل يستلزم صفة " وصفة هذا الاسم قد أقر بها حتى المشركين، كما قال سبحانه ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: 87] ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: 61].

أما أولئك الملحدون المحرومون! الذين خدعهم الشيطان فألغوا عقولهم، وخالفوا الفطرة السوية، وأنكروا وحي السماء، وزعموا بجهلهم وقصورهم أن هذا الكون الفسيح وما عليه من كائنات ومخلوقات وُجِدَتْ هكذا دون مُوجِد ولا خالق لها، أو كما يتخرصون ويزعمون أنها وُجِدَتْ بمحض الصدفة، وهذه أكبر الفِرى والأكاذيب. فمن كان لديه أدنى عقل يستطيع أن يرى آلاف الأدلة على وجود الله، وأن الله تعالى هو خالق الخلق ومالك الملك، وأن هذا الكون الشاسع وهذا الخلق المتنوع والعجيب، لا يمكن أن يوجد هكذا عن طريق الصدفة أو دون خالق عليم.

اسم الله "الخالق" و" الخلاق" في القرآن الكريم:

ورد اسمه" الخَالق" في أحد عشر موضعاً في القرآن منها:

قوله تعالى: (هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ) [الحشر: 24].

وقوله تعالى: (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) [المؤمنون: 14].

وقوله تعالى: (أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ * أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ) [الواقعة: 58-59]. وغيرها من الآيات.

📝وجاء الاسم بصيغة المبالغة مرتين:

في قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ) [الحجر:86]

وقوله سبحانه: (بَلَى وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ) [يس:81].

✉لابد في البداية أن نشير إلى أنَّ هذا الاسم الشريف يشير إلى صفة من صفات ربوبية الرب جل وعلا، فإنَّ صفات الربوبية تؤول إلى معانٍ خمس:

الصفة الأولى: صفة الخلق

والصفة الثانية: صفة المُلك

والصفة الثالثة: صفة التدبير والهيمنة

والصفة الرابعة: صفة الإحياء

والصفة الخامسة: صفة الإماتة والبعث والنشور

✉فلا يكون ربًا من لم يتصف بهذه الصفات، وكذلك صفة الرزق. فصفة الخلق بإحياءِ الموتى وإيجادِ الشيء من العدم وفي نفس الوقت هو سبحانه وتعالى الذي يرزقهم ويتولى أمورهم. أفلا يستحق من اتصف بذلك أن يكون هو الإله فلا يُعبد إلا هو ولا يحب ولا يُجَلُ إلا هو سبحانه وتعالى على هذا الاعتبار. فهو الذي خلق وهو الذي رزق وهو الذي يحي ويميت، وهو سبحانه وتعالى له صفة المُلك وله صفة الهيمنة، إذا كان الله سبحانه وتعالى تفضل على عباده بكل ذلك. ألا يستحق بعد هذا أن يكون هو الإله؟

📝اسم الله الخالق في السنة:

❍وقد ورد في السنة إثبات هذا الاسم كذلك، كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وصححه الألباني من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: غلا السعر على عهد رسول الله فقالوا: يا رسول الله، غلا السعر، فسعر لنا سعرًا، فقال رسول الله -ﷺ-: "إن الله هو الخالق القابض الباسط الرازق المُسعِّر، وإني لأرجو أن ألقى الله، ولا يطلبني أحد بمظلمة ظلمتها إياه في دمٍ ولا مال". [صححه الألباني]

وقد ورد كذلك أن النبي -ﷺ- قال: "لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ" [صححه السيوطي في الجامع الصغير]

📝معنى اسم الله الخالق في اللغة:

⇦الخلق في اللغة يدور حول معنيين:

❶المعنى الأول: هو إيجاد الشيء من الشيء، أو إيجاد الشيء من العدم.

🗁أي يأتي الخلق بمعنى الإنشاء والإبداع، ويأتي بمعنى تقدير الشيء. فمن ذلك قولُ الله جل وعلا {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ} [السجدة:7]، وقول الله تعالى: { هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ [لقمان: 11] فالمعنى هنا أصله التقدير وإبداع الشيء من غير أصل.

📂الخلق قد يأتي أيضًا بمعنى الكذب على اعتبار أن الذي يكذب يُؤلف ويُنشئ كلامًا لا يُطابق الحقيقة لذلك ستأتي {إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ} [ص:7] يعني افتراء وكذب. ويقول الله جل وعلا: {إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا} [العنكبوت:17] يعني أنكم تؤلفون وتكذبون وتأتون بهذه الأمور التي لا تتطابق مع الحقيقة. ويقول الله تعالى: {إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ} [الشعراء:137] أي إن هذا إلا كذب الأولين.

📁الخالق في أسماء الله تعالى هو الذي أوجد جميع الأشياء بعد أن لم تكن موجودة، فالخالق هو الذي ركب الأشياء تركيبًا ورتبها بقدرته ترتيبًا، يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ} [فاطر:3]

{هَلْ مِنْ خَالِقٍ} أي هل من مُبدع؟ هل من مُنشئ؟ هل من مُوجد للأشياء؟ من العدم غير الله.

❍{اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [الزمر:62] خلق سبحانه وتعالى كل شيء فأوجد هذه الأشياء بعد أن كانت في عالم العدم، هو سبحانه وتعالى الذي قدر وجودها وأوجدها وهو على كل شيء وكيل.

❷المعنى الثاني: هو تقدير الشيء أو تركيبه وترتيبه.

يدل عليه قوله تعالى: {ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً} أي قدرناها كذلك {ثم خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [المؤمنون:14].

📃بقول مجاهد، وهو: يَصْنعون ويصنع الله؛ والله خيرُ الصانعين، ثم قال: لأنّ العرب تُسمّي كلَّ صانعٍ خالقاً.

📃قال الخطابي رحمه الله: " الخالق هو المبدع للخلق المخترع له على غير مثال سابق ".

📃وقال الزَّجَّاجُ: "فالخَلْقُ في اسمِ اللهِ تعالى هو ابتداءُ تقديرِ النشءِ، فالله خالِقُها ومُنْشِئُها وهو مُتمِّمُها ومدبّرُها فتبارك اللهُ أحسنُ الخالقين".

📃وقال الحليميُّ: "قال الله عز وجل: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [فاطر: 3]، ومعناه: الذي صَنَّفَ المُبدَعَاتِ، وجعل لكلِّ صِنْفٍ منها قَدرًا، فوُجِدَ فيها الصغيرُ والكبيرُ والطويلُ والقصيرُ، والإنسانُ والبهيمُ والدابةُ والطائرُ، والحيوانُ والمواتُ، ولا شكَّ في أنَّ الاعترافَ بالإبداعِ يقتضي الاعترافَ بالخَلْقِ، إذْ كانَ الخلقُ هيئةَ الإبداعِ فلا يُغني أحدُهما عن الآخرِ".

✉والخالق -سبحانه- هو الذي أوْجد جميعَ الأشياء بعد أن لم تكنْ مَوْجُودة، وقدّر أمورها في الأزل بعد أن كانت معدومة، وهو وحده الخلاق العليم، خلق الخلق كله وحده، لم يستعن بأحد، ولم يستشر مستشارًا ولا وزيرًا، وليس له شريك، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) [فاطر:3].

✉والخالق -سبحانه- لا يعجزه شيء، بدأ الخلق وهو قادر على إعادته، فله وحده القدرة الكاملة، والتدبير الكامل، وله الحكمة الواسعة، والقوة النافذة، بعزته -سبحانه- أوجد هذه المخلوقات، وبحكمته أتقن صنعها، (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [الروم: 27].

✉وكل ما سوى الله مخلوق محدَث، وكل المخلوقات سبقها العدم، قال تعالى: (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا) [الإنسان: 1]، فما من آدمي إلا وسبقه جزء من الزمن قبل أن يُولد، وسيموت ويظل زمنًا في قبره، مرهونًا بعمله، ينتظر البعث والقيامة، نسأل الله العافية.

✉إن الله الخالق -تبارك وتعالى- يخلق الشيء دون أن يكون له سابقة وجود على الإطلاق، ولقد أكد -عز وجل- على مسألة الخلق من العدم المطلق في العديد من الآيات القرآنية، منها قوله -تعالى-: (قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكِ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا) [مريم: 9]. وقوله -جل وعلا-: (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا) [الإنسان: 1]، وقوله -تعالى-: (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) [الأنبياء: 104].

✉والله -سبحانه وتعالى- لم يؤكد حقيقة الخلق من العدم فحسب، وإنما أكد حقيقة أخرى ألا وهي أن كل شيء عدا الله -عز وجل- فهو مخلوق له، خاضع لأمره، ولا استثناء في هذه القاعدة، وفي ذلك يقول -سبحانه وتعالى-: (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا) [الفرقان: 2]، وقوله تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) [البقرة: 29].

✉وأما الخلق فكلهم ضعاف عاجزون عن خلق أي شيء ولو كان صغيرًا، ولو اجتمعوا ما استطاعوا وتحداهم الله تعالى فقال -سبحانه-: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) [الحج: 73- 74].

📝ربنا -تبارك وتعالى- تفرد بكل جمال وكمال وعظمة؛ خالق الخلق، خلق المخلوقات كلها، وأوجدها من العدم، وجعل لكل نوع قدرًا، وعليها تنوعت مخلوقات الله في أوزانها وطعومها، وألوانها، وأعمارها ومنافعها، وأوصافها، وأحجامها، وخلقه -سبحانه- لا يتوقف ولا ينقطع، فكل يوم، بل كل لحظة يخلق ما يشاء، كيف شاء، بأي كيفية شاء، في أي وقت شاء، إن الطبيعة وما فيها من أصناف المخلوقات تسبح بحمد الله جل جلاله، ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: 44].

📝كل ما في الكون خلقه وهو شاهد على ربوبيته وألوهيته عز شأنه،﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [لقمان: 11].

📂وإليكم بعض ما نطقت به الاكتشافات في هذا العصر:

❁ما بين (500 - 600) مليون حيوان منوي يمر عبر المهبل، وكل واحد من هذه الحيوانات قابل لأن يكون إنسانا بإذن الله عز وجل، ولكن الله سبحانه وتعالى بقدرته وحكمته يختار واحد من هذه الملايين يقوم بتلقيح البويضة؛ ليكون هذا الإنسان السوي المختار.. الناطق العاقل.. المتصرف في شؤونه بإذن ربه.

⇦هكذا خُلقنا فلنتواضع لعظمة الله عز وجل وكبريائه! ولنتذكر البداية التي كنا منها؛ لندرك الفرق الهائل بين هذه النطفة وهذا الإنسان السوي.

❁في جسد الإنسان أكثر من مائة تريليون خلية، وداخل كل خلية من هذه الخلايا أجهزة وأعمال ونوى وبرامج وخرائط ومعلومات، كلها تسبح ربها جل وعز وتؤدي دورها على أحسن وأفضل ما يكون.

❁في كل خلية (31) مليار حرف من الحمض الوراثي النووي؛ الذي هو ذو حروف أربعة وهو عبارة عن مادة وراثية موجودة في نواة البويضة ومسؤولة عن جميع وظائف الجسم الحيوية المختلفة.

❁وهذه الأعداد الهائلة من الحروف النووية الحمضية، وهذه الكميات الهائلة من الذرات والخلايا الموجودة في جسدك كلها ناطقة ومعترفة بعظمة الله سبحانه وتعالى وأنه الخلاّق.

❁ارفعي رأسك إلى السماء حين يخيم الليل فوق رأسك ثمّة مليارات المجرات والمجرّة عبارة عن تجمّع من النجوم المختلفة الواسعة الكثيرة الهائلة والمسافات في النجوم والمجرات لا يقدرها المختصون بالكيلو متر وإنما بسرعة الضوء! والضوء يقطع في الثانية الواحدة 300 ألف كيلو متر ويقطع الضوء في ساعة واحدة قرابة مليار كيلو متر!!

❁والمجرات خلق عظيم جدا حتى قال المختصون لو افتُرِض أن مركبة تسير بسرعة الضوء لاحتاجت إلى عدة آلاف من السنوات حتى تجتاز مجرة واحدة من هذه المجرات، فما بالك بما وراءها قال الحق سبحانه ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الحاقة: 38، 39] وقال جل جلاله ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: 75، 76].

❁إن الإنسان قد يكبر في عين نفسه لكنه لو نظر إلى هذه المخلوقات الهائلة الضخمة العظيمة؛ لأورثه ذلك تواضعا وذُلاً وانكساراً لربنا تبارك وتعالى وتعظيماً وإجلالاً وخوفاً وتوكلاً...

❁إن هذه المجرات التي نتحدث عنها تضم المجرة منها ما بين مائة بليون إلى ألف بليون نجم!! ولا يزال العلم يكتشف كل يوم الجديد في هذا الفضاء مع أن وسائل الكشف لا زالت عاجزة قاصرة عن إدراك ما وراء ذلك كله.

❁إن روعة هذا الكون وجماله وعظمته قبسة من إبداع الخالق العظيم سبحانه.

قل للجنينِ يعيش معزولاً بلا ... راعٍ ومرعى ما الذي يرعاكَ
قل للوليدِ بكى وأجهشَ بالبكاء ... لدى الولادةِ ما الذي أبكاكَ
وإذا ترى الثعبانَ ينفُثُ سُمَّهُ ... فاسألْه من ذا بالسموم حشاكَ
واسأله كيف تعيش يا ثعبان ... أو تحيى وهذا السمُ يملأ فاكَ
واسأل بطونَ النحلِ كيف تقاطرت ... شهداً وقل للشهد من حلاكَ
بل سائلِ اللبنِ المصفى كان بين ... دمٍ وفَرْثٍ ما الذي صفّاكَ
قل للنبات يجفُ بعد تَعَهُدٍ ... ورعايةٍ من بالجفاف رماكَ
وإذا رأيت النبتَ في الصحراءِ ... يربو وحدَه فسأله من أرباكَ
وإذا رأيت البدرَ يسري ناشراً ... أنوارَه فاسأله من أسراكَ
واسأل شعاعَ الشمسِ يدنو وهي ... أبعدُ كل شيءٍ ما الذي أدناكَ
ستجيبُ ما في الكون من آياته ... عجبٌ عجابٌ لو ترى عيناكَ
يا أيها الإنسان مهلاً ما الذي ... بالله جل جلاله أغراكَ

ومن العبادات المهجورة التي لا يقف عندها كثير من الناس: عبادة التفكر في خلق الله وآلاء الله ونعمه على عباده، قال -عز وجل-:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [آل عمران: 190-191]، قال النبي -ﷺ- ويلٌ لِمَن قرَأها ولم يتفكَّرْ فيها، قادهم التفكير إلى خشية الله، قالوا بعدها ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾....

رسولِ اللهِ -ﷺ-: استيقَظَ من نومه، فنظَرَ في الأُفُقِ، فقال: {رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا} [آل عمران: 191]، حتَّى بلَغَ {إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ} [آل عمران: 194]، أول ما فتح عينيه -ﷺ- تعبد الله سبحانه وتعالى بعبادة التفكر.

فالتفكر يكون في عظيم ملكه وسلطانه وقدرته وفضله على الناس، وكما خلق الله تعالى السماوات والأرض والإنسان وكل الكائنات، فقد خلق أيضًا الموت والحياة؛ ليبلوَ النَّاس أيُّهم أحسن عملًا وعقلًا وقربًا وإحسانًا؛ قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ [الملك: 1، 2]، وفي ذكر الموت الدائم أكبر رادع للإنسان عن الاستكبار والتطاول والجحود والظلم بغير الحق؛ لأنه يعلم أن نهايته الموت، وأنه سيقف بين يدي ربه، ويُجازَى على كل أعماله، نسأل الله السلامة والنجاة من النار، اللهم آمين.

فإن التفكر في خلق الله سبحانه وملكوته يقود إلى إيمان راسخ بالله الخلاق سبحانه، والاعتراف بأن الله هو الخالق، إيمان بربوبيته فالله هو الخالق المدبر المتصرف ولا بد من صرف العبادة للخالق سبحانه أما إن صُرفت لغير الله فهو شرك أكبر ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 21].

والإيمان بأن الله هو الخالق المنعم المتصرف يقود العبد إلى محبة خالقه والتسليم لأمره والانصياع لشرعه والوقوف عند حدوده ولذا قال سبحانه ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 54]. فالذي له الخلق له الأمر وهو الشرع.

حظ المؤمن من اسم الله تعالى الخالق إن للإيمان باسم الخالق آثارًا عظيمة، منها:

❶ - الإيمان بالخالق سبحانه يستلزم الإيمان بوحدانية الله وألوهيته وإفراده بالعبادة.

❷- ومن آثار باسم الله الخالق: المحبة الكاملة لربنا سبحانه فهو خالقنا والمنعم بنعم نعرف قليلا منها ونجهل كثيرا.

❸-الإيمان باسم الله الخالق يدل على صفات أخرى لله سبحانه كالحياة والقدرة والعلم والإرادة وغيرها.

❹- فمن أهم ثمار معرفة هذا الاسم وفهمه فهمًا صحيحًا: أن يعلم العبد أنه مخلوق ضعيف، خلقه الله تعالى لغاية واضحة، وقد بيَّنها له في كتابه وأرسل بها كل رسله عليهم السلام؛ ألا وهي عبادته عز وجل؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴾ [الذاريات: 56، 57]، فلم يخلق الله الإنسان عبثًا، بل خلقه لعبادته والامتثال لأمره، فهناك حكمة من هذا الخلق، قال -عز وجل-: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: 115]، الله أوجد هذا الكون العظيم وخلقه لغاية عظيمة، ومهمة سامية، محال أن يخلقكم ويترككم هكذا.. تأكلون وتشربون وتلهون وتمرحون، وتتمتعون بلذات الدنيا، ويترككم

هملاً من غير أمر ولا نهي، ولا يثيبكم، ولا يعاقبكم، فهذا لا يُتصور من الحكيم -سبحانه- فلا يخطر هذا ببالكم، ولا تتوقعونه!!

❺-ومن الآثار الإيمانية أيضا: أن الإيمان باسمه الخالق يستلزم قبول شرعه وتعظيم أمره والعمل به والتحاكم إليه وعدم الرضا بغيره بديلا لأنه الشرع الصادر عن الخالق العليم الحكيم سبحانه ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: 14].

❻ومن الآثار: الإيمان باسمه الخالق يقتضي الإقرار بعلم الخالق سبحانه بجزئيات خلقه صغيرها وكبيرها ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: 13، 14].

❼-ومن الآثار الإيمانية: تعظيم الله عز وجل وإجلاله وذلك عند معاينة مخلوقاته العظيمة في الآفاق وفي الأنفس؛ لأن عظمة هذه المخلوقات ودقتها وانتظامها يدل على عظمة خالقها ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل: 88].

❽ ومن الآثار: أن الله -تعالى- لم يزل خالقًا كيف شاء، ومتى شاء، وله التصرف وبيده الأمر، قال تعالى: (يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) [النور: 45]، وقال -سبحانه-: (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ) [القصص: 68].

❾ ومن الآثار: أن نعلم أن خلْق اللهِ عظيمٌ، يعجز الإنس والجن وغيرهم أن يخلقوا مثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، قال تعالى: (لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) [غافر: 57].

❿ومن الآثار: أن الخالق -سبحانه- يختلف في أوصافه عن المخلوق؛ فالخالق يستحيل أن تكون ذاته مخلوقة، أو يشابه المخلوق في صفاته، ومتى حاول الشيطان بوساوسه أن يبث في العبد أن المخلوقات خلقها الله ليصل بك إلى سؤال خطير، من خلق الله؟ عندها فليستعذ العبد بالله من الشيطان وشركه، وليقل: آمنت بالله، فعن أبي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: "يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهِ" (متفق عليه). فلا ينبغي أن يقاس الخالق الكامل القادر بالمخلوق الضعيف العاجز!

❶❶ومن الآثار: عدم مضاهاة خلقه تعالى، فالله الخالق -سبحانه- حرَّم على عباده أن يصوِّروا الصور ذوات الأرواح؛ لما فيها من مضاهاة لخلق الله، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه-: أن النبي -ﷺ- قال: "قال الله -عز وجل-: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؟! فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً وَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً" (البخاري).

❶❷ التفكر في مخلوقات الله يزيد في إيمان المسلم ويقوي يقينه، ويحمله على طاعة الخالق العظيم، وعدم الجرأة على معاصيه وحدوده؛ إذ كيف للبشر الضعاف عصيان رب قادر عظيم، ألا ما أعظم قدرة من خلق فسوى، وما أجهل البشر بعظمة ربهم وقدرته وقوته وعظمة مخلوقاته!! قال تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ) [المؤمنون: 17]، فكيف يُعصى مَن هذه قدرته! وكيف يتجرؤون على من هذه عظمته وجبروته؟

❶❸ومما ينبغي للعبد فعله مع اسم الله الخالق أن يدعو ربه به، فيسأله بأنه الذي خلق كل شيء، ويتوسل إليه بأنه الخلاق وحده، فعَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قال: "سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ، وأنا علَى عَهْدِكَ ووَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أعُوذُ بكَ مِن شَرِّ ما صَنَعْتُ،

أبُوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ لكَ بذَنْبِي فاغْفِرْ لِي؛ فإنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أنْتَ ". (البخاري)، ومن دعائه -ﷺ-: "اللهم كما حسَّنت خَلْقي، فحسِّن خُلُقي" (صححه الألباني).

وكذلك جاء أيضًا في أذكار الصباح والمساء

قال أبو صالح رضي الله عنه سمعت رجلاً من أسلم قال كنت جالسًا عند رسول الله" فجَاءَ رَجُلٌ إلى النَّبيِّ -ﷺ- فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، ما لَقِيتُ مِن عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي البَارِحَةَ، قالَ: أَمَا لو قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِن شَرِّ ما خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّكَ" [صحيح مسلم]

وكذلك الدعاء حال النوم

كان -ﷺ- ربما يقول: (اللَّهُمَّ خَلَقْتَ نَفْسِي، وَأَنْتَ تَوَفَّاهَا، لكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا، إنْ أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا، وإنْ أَمَتَّهَا فَاغْفِرْ لَهَا، اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ العَافِيَةَ) [صحيح مسلم]

المراجع:

❶شرح واسرار الاسماء الحسنى للشيخ هاني حلمي: اسم الله الخالق.

❷اسم الله الخالق: ملتقى الخطباء - الفريق العلمي.

❸الله الخالق الخلاق: حسام بن عبد العزيز الجبرين.

❹تأملات في اسم الله تعالى الخالق: أ.د. وجيه يعقوب السيد.